مجلة المجمع العلمي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

مجلة المجمع العلمي

الجزء الثالث ـ المجلد الخامس والخمسون

بغـــداد

١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م

العلامة الدكتور مصطفى جواد

سالـــم الالوســـي

الملخـــص :

يتناول هذا البحث صفحة من باكورة حياة العلامة الدكتور مصطفى جواد ــ رحمه الله تعالى ــ ويتألف من فقرتين :

الأولى ــ الرسالة التي بعث بها مصطفى جواد ايام دراسته في جامعة السوربون بباريس . الى زميله الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني (ت ١٩٧٠) . وتحتوي هذه الرسالة على معلومات لغوية ، ادبية وتاريخية مفيدة ومهمة وهي مؤرخة في ١٩٣٧/١٢/٢٢ .

الثانية ــ كان الاستاذ الدكتور عبد الهادي التازي ، سفير المملكة المغربية السابق في بغداد ، وكاتب البحث قد زارا العلامة جواد ، الذي كان يرقد مريضا بداره في منطقة الدورة ، لعيادته وتفقد احواله الصحية . وخلال هذا اللقاء جرت احاديث شتى في اللغة والتاريخ والاجتماع ، لها اهميتها ، رأينا من المفيد تسجيلها ليطله عليها القراء والافادة منها .

المقدمـــة : ــ ١ ــ

كان العلامة الدكتور مصطفى جواد واحدا من تلامذة العلامة الأب انستاس ماري الكرملي (ت ١٩٤٧) وأصدقائه الذين يعدّون بالعشرات ، وكان من حضّار مجلس الجمعة الذي كان يعقده الاب صباح كل جمعة ، وكان هذا المجلس مجمعا علميا او مدرسة علمية ثقافية ، بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، وقد تخرج فيها جمهرة من المؤرخين والكتاب والشعراء ورجال الصحافة ، كان لهم الاثر الكبير في النهضة الثقافية والادبية

والتاريخية في العراق منذ مطلع القرن العشرين الماضي ، وقد استمر نشاطهم ونتاجهم العلمي والثقافي الى النصف الثاني من القرن المذكور ونذكر من اولئك العلماء الفضلاء ، وهم كثيرون ، الاساتذة : الدكتور مصطفى جواد ، عباس العزاوي ، احمد سوسة ، كوركيس عواد ، يعقوب سركيس ، ويوسف يعقوب مسكوني وغيرهم . كانت الصلات العلمية والثقافية بينهم متينة ومتواصلة ، داخل العراق وخارجه ، كانوا يتبادلون الرسائل والمعلومات في شتى صنوف العلوم والمعارف . وبمناسبة مرور (٨٢) عاما على الرسالة التي بعث بها الاستاذ مصطفى جواد الى صديقه يوسف مسكوني ، رأينا من المناسب نشرها لما تضمنته من معلومات تاريخية ولغوية(*) ، وتدل على الروابط الثقافية بين ادباء العراق ومثقفيه من مختلف الطوائف والاديان ، بوصفها مظهرا من مظاهر الوحدة الوطنية .

وفي الصفحات الآتية ندرج نص هذه الرسالة مع صورة من مقدمتها وخاتمتها وهي بخط العلامة مصطفى جواد .

125 Bd Richard Levoir
Paris 11e

بباريس في ٢٢ كانون الأول ١٩٣٧

الى حضرة الاستاذ الجليل الأديب المفنّن يعقوب افندي المسكوني ايده الله تعالى . تسلمت مولاي وصديقي العزيز مكتوبكم الجميل منذ أيام ليست بقليلة في مقياس المراسلات ، ولكني بطيء الأجابة في بعض الأزمان لتهاون يعتريني وفتور يتعاورني ، لاأفعل هذا معكم وحدكم بَل مع أشيخ الناس عمراً ومنزلة والحمد لله على كونكم ممن لا تلجئني الحال الى المعاذير اليهم لتقبّل

(*) حصلت على اصل الرسالة من عائلة المرحوم يوسف مسكوني وقد خاطبه باسم ابيه يعقوب كما يظهر في الرسالة . (سالم الآلوسي)

عتاباتهم وتسأل قبولها والصفح عن مرسلها ، وهذه فائدة الصداقة ــ أعزكم الله ــ

لقد امعنت في تقريظي وإطرائي حتى تهتم ، ولا كتّيبه بني اسرائيل الانذال ، ولعلّ تنبؤي لكم بما وهب الله لكم فتق لسانكم بهذه الأماديح المغرقة والأثنية الفائقة والتقدير الذي جاوز القدر .

قلتم ، أعزّكم الله وأيدكم ، ((كنت أريد ان اكتب لك ردا على رسالتك هذه)) وانا لا استحق الرّد ولا الصّد ، ولم اكتب اليكم بما يستوجب ذلك ، ولعلكم أردتم ان تقولوا : ((جوابا عن رسالتك هذه)) فتناولتم النار بدلاً من النور .

أتمّ الله فرحتكم بالمولود ((زهير)) بالإبقاء عليه وتمتيعه بالحياة الطويلة مع سعادة الجَد وحسن التوفيق . أمّا ما شملكم من الرفهنية والبلهنية ، فممالا شكّ فيه ، ولكن لاتنفروا من هاتين اللفظتين ، فكما رجع مسكوني الى زهير ، يجب ان يحوّل (المربّع) و (المكيّف) الى الرفهنية والبلهنية ، فالقضية قضية عروبة ليس إلاّ .

اشكر لكم ــ وفقكم الله ــ ذكركم للقصيدة النبيهية الواردة في خزانة الأدب لأبن حجة الحموي في مدح الناصر لدين الله ((باكر صبوحك اهنى العيش باكره)) فقد اطلعت عليها قبل سنتين وهي في ديوانه ، وهو مطبوع وليست كلها في مدح الناصر ، بل مدح بها ايضاً شاه ارمن ، الملك الاشرف موسى بن العادل الأيوبي صاحب خلاط وميّا فارقين ، ومن ذلك قوله :

طورا أضائت لموسى نار جذوته حتى انجلت لمناجاة بصائره

تهنّ نعمى امير المؤمنين ودم يايها الاشرف الميمون طائره

وقد ذاكرتكم مرة في ذلك فنسيتم وقلت لكم : ان البيت المشهور

والموت نقّاد على كفّه جواهر

هو من ديوان كمال الدين ابن النبيه من قصيدة يرثي بها الملك المعظم ابا الحسن علي بن الامام الناصر لدين الله . اولها :

الناس في الموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجـــواد

أرغمت يامـــوت انوف القنـــا ودست اعناق السيوف الحداد

وشعره كله مختار ، ولاسيما قصيدته ذات المستهل :

بغداد مكّتنا واحمد أحمـــدُ حجّو الى تلك المواقف واسجدوا

لولا التقيّة كنت أول معشرٍ غالوا فقالـــوا أنت ربٌّ تُعبـــدُ

ثم اشكر الله الشكر العظيم على سلامتكم من حادث السقوط ، لاسيما وانكم عازمون على الرجعة الى إتمام كتابكم ، وأذكركم بهذه الفرصة ما وجدته في حوادث احتلال البساسيري لبغداد ، ومقدماته ونتائجه في (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزي . قال في حوادث جمادي الأول ٤٤٨هـ: ((وفي هذا الوقت ورد الخبر من واسط ، بأن ابا الغنائم بن فجانجس والترك عصوا على السلطان (طغرل) . وكان عميد الملك [محمد بن منصور الكندري] قد ولاّه فبلغه انهم على عزم عزله ، فاستمال الاتراك ووردت عليه طائفة من الديلم والأكراد والرجالة فقدموه عليهم وانفق فيهم الأموال ، وزوّر كتباً عن الفساسيري يعدهم (فيها) الاحسان والاقطاعات ، ويعد اهل البلد العدل ، وكان الترك قد نفروا من السلطان لأنه قتل جماعة منهم ، وكاتب [ابن فسانجس] اهل البطيحة فوافقوه وحفر الخنادق حول واسط وبنى اسواراً عالية وركّب عليها ابواب الحديد)) (كذا في الورقة ١٤-١٥ من المخطوط المرقم ١٥٠٦ من دار الكتب الأهلية بباريس) .

ثم قال في الورقة ١٨ ((وفي هذا الشهر [ذي القعدة] عاد ابن فسانجس ومعه الديلم والترك الى واسط ونهب قرية عبد الله من ضياع

الخليفة[1] [القائم بأمر الله] وقتل من فيها واخذ سفنا فيها متاع للخليفة وبيّضَ حائط جامع واسط [بشعار الفاطميين] ومحا ماكان على قبلته من ألقاب بني العباس ونصب على المنبر لوائين ابيضين وخطب لصاحب مصر [المستنصر بالله الفاطمي] ، ونقش على الدنانير والدراهم اسمه)) . وسبب مجيئه الى واسط بعد ان كان فيها ما قصّه المؤرخ نفسه في السنة نفسها ، اعني سنة ٤٤٨ هـ فقال في الورقة ١٧ ((وفي شوال صار عميد العراق ابو نصر[*] الى واسط فأسر جماعة من الاتراك وغرّق آخرين وقتل وانهزم الباقون في السفن الى البطيحة هاربين وهدم [العميد] سور واسط وطمّ الخنادق وكتب الى السلطان بالفتح ، وكان ابن فسانجس قد هرب الى البطيحة)) . فرجوعه الى واسط بعد هدم سورها وطمّ خندقها اللذين عملهما . وقال في المحرّم من سنة ٤٤٩ هـ ((وفيه فتحت واسط وهرب ابن فسانجس وابن يانس في ثالث عشرة ، واقيمت الدعوة للقائم)) . والمهم في هذه الاخبار خبر السور والخندق وماعداه فمعروف .

واحببت ان أوضح لكم بعض النقاط الخاصة بخطط واسط فأسألكم : هل ذكرت لكم ((مقبرة المصلّى)) بواسط ؟ فقد قال ابن الدبيثي في ترجمة الحسن بن الفرج بن علي بن ابي علي بن ابي العز الشاهد من اهل واسط المعروف بابن حبانش ، ((كان احد عدول واسط هو وابوه ، قدم الى بغداد في سنة تسع وخمسين وخمسمائة وسمع بها [الحديث] ، توفي ابو علي يوم

---

[1] ارجوا منكم ان تقرأوا هذه الجملة وحدها لصديقنا المحقق الكريم الاستاذ يعقوب السركيسي فأن له شأنا فيها.

[*] ابونصر : كنية الملك الرحيم ، من امراء البويهيين الذين تولوا حكم العراق من ٣٣٤ ـ٤٤٧ هـ (٩٤٦ ـ ١٠٥٥) ، ومدة حكمه سبع سنوات ٤٤٠ ـ ٤٤٧ هـ التي انتهت باستيلاء السلاجقة على العراق (سالم الالوسي)

الخميس سادس عشر ربيع الآخر لسنة اربع وخمسين وخمسمائة ودفن يوم الجمعة عند ابيه بقبلة المصلّى)) . وقال في ترجمة سليمان بن محمد بن الحسن العكبري ابي طالب المقريء)) من اهل واسط من بيت صالحٍ اهل دين وخير ، قرأ القرآن الكريم بواسط بالقراءات ... وقدم بغداد وقرأ بها ... وسمع بواسط [الحديث] . توفي ابو طالب العكبري بواسط في ليلة الخميس ثالث عشري محرم سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وحضرنا الصلاة عليه يوم الخميس بالجامع بها ، والجمع كثير ودفن عند تربة كاتب حمدونة بمقبرة مسجد قصبة . ــ رح ــ

اما القبر المنسوب بداوردان ، الى سعيد بن جبير فيظهر لي انه قبر (سعيد بن يحيى) والد المؤرخ ابن الدبيثي . قال ابنه هذا في ترجمة ((سعيد بن يحيى بن علي)) والدي من اهل واسط ... ولد والدي بواسط وقدم الى بغداد وهو صغير مع ابيه ... وعادالى واسط ونزلها الى حين وفاته ... وتوفي في ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى في سنة خمس وثمانين وخمسمائة وصليت عليه يوم الجمعة بين الاذان والاقامة بجامع واسط والجمع وافر ، وكنت إماما [لأني ابنه] ومضينا مع جنازته الى مقبرة داوردان ، وهي مقبرة بينها وبين البلد فرسخ ، فدفن هناك عصر اليوم)) .

اما الاسم المحرّف الوارد في خبر من أخبار الأغاني الذي ارتأيت فيه لكم رأياً ثم عاقني الزمان عن تأكيده لكم ، فهو ((خسر سابور)) قال ابن الدبيثي ايضاً في ترجمة ((احمد بن مبشر بن زيد المقريء ابي العباس الواسطي)) المتوفى سنة ٦٠٩ هـ ((من اهل خسر سابور احدى قرى السواد)) وفي ترجمة احمد بن الهياج بن علي ابي العباس الواسطي المتوفى سنة ٥٧٩ هـ ((من اهل قرية تعرف بخسر سابور)) . وفي ترجمة

((صدقة بن الحسين بن احمد ابي الحسن الواعظ الواسطي المتوفي سنة ٥٥٧ هـ ((من اهل قرية يعرف بخسابور [كذا]))

وقد ذكر في ترجمة ((علي بن احمد بن محمد ابي الأزهر القاضي الشاهد المحتسب الكتاني الواسطي المتوفى سنة ٥١٣ هـ ((.. ودفن بداره بدرب الخطيب بواسط ونقل بعد ذلك الى مقبرة داوردان بواسط فدفن بها)) . وفي ترجمة عبد السميع بن عبد العزيز بن علاّب المقرىء الواسطي ، سبط ابن الدباس المتوفي سنة ٦١٨ هـ ((توفي بواسطة ليلة الجمعة ثاني عشر رمضان ودفن بداره بدرب الخُريبة)) .

ومرجّوي منكم ــ أعلى الله مرتبتكم ــ ان تقصدوا الى الاستاذ المحقق البارع يعقوب افندي السركيسي ، فتترجموا لي ترجمة الناصر لدين الله من الانكليزية من كتاب (مختصر الدول) لإبن العبري ، وذلك في احدى الجمعات لان الاستاذ كان ذكر لي ان فرقاً عظيماً بين تاريخ ابن العبري السرياني وتاريخه العربي ، وقد تحققنا هذا الفرق في جمعة من الجمعات التي زرنا فيها الاستاذ السركيسي وذلك بقرار الصديق الفاضل الاستاذ كورجيس حنا[**] ولم اجد هاهنا نسخة من الترجمة لأنقل عنها . ولاتنسوا تبليغ الاستاذ السركيسي تحيتي قبل كل شيء ، ولقد ارسلت اليه ببطاقة قبل هذا فربما انتهت اليه ، ادام الله عزه .

تحيتي الى الاستاذ كوركيس او كورجيس كما يسبق اليه قلمي ، وما أدري أأنتما مستمران او مستمران انتما على التلاعيب بالنرد ، فان الوقت قد

[**] يقصد الاستاذ كوركيس حنا عواد (سائم الالوسي)

برد ووجب عليكما استبدال السبقة الناملیتیه(***) بالشلغم المسلوق الكرادي ولقد صدق ابو نواس في قوله في الطاولي :

ومأمورة بالأمر تأتي بغيـــره ولم تتبع في ذاك غيّا ولارشدا
اذا قلت لم تفعل وليست مطيعة وأفعل ماقالت فصرتُ لها عبدا

وكذلك قول احدهم :

لاخير في النرد لايغني ممارسها فضل الذكاء اذا ما كان محروما
تريـــك أفعـــال فصيّها تحكّمهـــا ضدين في الحال ميموناً ومشؤوما
فما تكاد تـــرى فيهـــا أخـــا إرب يفوته القَمْـــر إلاّ كـــان مظلومـــا

وتحيتي الى زوجكم الكريمة والى اخيها جرجيس . وتقبلوا من صديقكم وافر الاحترام والسلام مولاي من

مصطفى جواد

(***) الناملیت : نوع من المشروبات غير الكحولية التي دخلت العراق في العشرينيات من القرن الماضي (سالم الالوسي) .

باريس في ٧ كانون الأول سنة ١٩٢٧

الى حضرة الاستاذ الجليل الأديب المفضال يعقوب أفندي المسكوني أيده الله تعالى

تسلمت مرسلوي وصديقي العزيز مكتوبكم الجميل الجليل منذ أيام ليست بقليلة فيستاسر الرامسوت، ولكني بطل الاجابة في بعض الأزمات لتيارات يعترضن وقتئذ يتعاورني لا أفضل قصد أسعاكم وحكم بل مع اشتغالي بالسفر الى مدينة ... والحمد لله على كونكم مرة لا تلجئون الحال الى ارسال المعاذير اليكم لتقبل تمنياتكم وتسائل قبولها بالاغضاء عن مرسلها، ولتفده فائدة الصداقة أعزكم الله.

لقد استقر في قعر ليلي واطراد حتى تنفر والكتبة بني اسرائيل الأنذال، ولعل تنبري لكم بعض الدراسات بهذه الرباعيات المفرقة والأبنية الفائقة والتقدير الذي جاوز القدر.

تحيتي الى الاستاذ كبريس أوگور جيس لكما يسرني قلمي وما أدري أنا تماسكتما أو استمر ان أنتما على الشوط بالتزيد فان الوقت قريب وقد وجب عليكما استباق السبعة السابليين بالتسلم المسلزم أكبر الجوائز. واختم معذرتي بقول أبي نواس في تواضع الطاهرين:

يا سامريد يا لؤمر تأتي بغيره ... ولم تتبع في داود عيسى ولا موسى

اذا قلت لم تفعل وليست مقالة ... وافعل ما قالت فقصرت لها عبرا

وكما قال قرا أحد الشعراء: لا خير في الزور الا ليفتن مما يرى ... يفضل الزكار اذا ما كان يجريها

تبيك افعال فصيح تحكيها ... فصدقه في الحال ميزان مسرورها

فما تشاد ترى فيها أخا أدب ... يفوقه القوم بالادكان مظهرها

تحيتي الى زوجكم الكريمة والى أخيكما جرجيس وتقبلوا من صديقكم وافر الاحترام والسلام مرسلوي.

مصطفى جواد

مقدمة الرسالة وخاتمتها وهي بخط الاستاذ مصطفى جواد

من المزايا الحسنة التي كان يتصف بها استاذنا وصديقنا العلامة الدكتور مصطفى جواد هدوؤه وإتزانه ، فكان لا يتكلم إلاّ إذا سُئل . وبالرغم من سعة علمه وثقافته الموسوعية ، كان جمَّ التواضع ، لطيف المعشر ظريفا ، ولهذه الصفات المحمودة كان يحظى بتقدير الجمهور عامة أرباب العلم والمعارف ومحبتهم واحترامهم خاصة . مما اكسبهُ ثقة الجماهير بمختلف عناصرهم وعقائدهم واتجاهاتهم السياسية والدينية . وقد تجلّى ذلك حضوره في مجالس العلم ومنتديات الثقافة والأدب ، فكان المجلّي في الندوات الثقافية والحلقات الدراسية والمؤتمرات ، فتراه محدثا لبقا ومحاضرا بارعا ليستقطب إعجاب السامعين . وكان خلال احاديثه يوشح كلامه بالظريف من الاحاديث والنادر من الاخبار الطريفة والوقائع ، وكان الناس يطربون لانشاده ويصغون لحلاوة احاديثه الادبية والتاريخية المختارة المؤطرة بالظرافة والمُلَح والنوادر ، وكان رحمه الله يرسل النكتة البارعة ويروي الخبر الطريف في بشاشته المعهودة وابتسامته المحببة ، ولهذا اتسعت شهرته في الاوساط كافة ، الرسمية والشعبية لمنزلته العلمية العالية ومواهبه النادرة حتى وصفه الكثيرون بـــ (علامة العراق) و (دائرة المعارف السيارة) و (الاستاذ بدون طلاب والطالب بدون استاذ) لأنه كان فريد عصره ، ونسيج نفسه كما يقال . ولم يحتل مكانته هذه احد من ارباب العلم والثقافة كما هو معروف . والحقيقة انه جدير بهذه الاوصاف وحقيق بها .

لقد حاز اعجاب الناس من خلال كتاباته الرصينة ومؤلفاته في مختلف صنوف المعارف ، ومما كان ينشره في الصحف والمجلات العراقية والعربية ومن خلال احاديثه في الاذاعة منذ اواسط الثلاثينيات الى قبيل وفاته في ١٩٦٩/١٢/١٨ كان ذلك الى ان جمعتنا الصدفة السعيدة بالتعرف على

شخصيته الفذة خلال عملنا في مديرية الآثار العامة في النصف الثاني من عام ١٩٤٤ حيث كان يشغل منصب ادارة الآثار الاسلامية وعضو هيئة تحرير مجلة (سومر) الآثارية . التي أُسست عام ١٩٤٥ وقد استمرت علاقتنا تتوطد وتتوثق يوماً بعد يوم ، حتى مطلع الستينيات يوم كنا نتعاون على تقديم البرنامج التلفزيوني ((الندوة الثقافية)) وهو برنامج ثقافي علمي اسبوعي حظي باعجاب المشاهدين وتقديرهم في ارجاء العراق وكان يشاركنا في هذا البرنامج جمهرة من العلمـــاء والادباء والمفكرين من العـــرب والعراقيين . ومن خلال هذه العلاقة المتينة المتواصلة وقفنا على كثير من خصال هذا العالم الجهبذ وقابلياته ومزاياه ومعارفه الموسوعية التي جاوزت حدود اللغة والتاريخ والادب الى العلوم الآثارية والخططية وتدوين السيرة والترجمة والبحوث الشعبية .

والسؤال هنا : ماذا نكتب عن صديقنا العلامة الذي أحاط بهذه العلوم وتلك المعارف احاطة قلّ نظيرها هذه المنزلة التي اثارت اعجاب المحافل العلمية والثقافية في كل مكان . ولصلتي الوثيقة به كثيراًما كان زملاؤه واصدقاؤه يوجهون الاسئلة والاستفسارات عن بعض الجوانب الخافية عنهم من حياة الدكتور مصطفى جواد ، وفي مقدمتها حياته العاطفية ونظرته الى المرأة ، وعن زواجه وهل كان سعيدا بذلك ؟ فكنت أُجيبهم بان اسئلة من هذا القبيل يجب ان توجهوها اليه شخصيا ، وكثيرا ما كان ، رحمه الله ، خلال لقاءاتنا ومجالستنا له مع نخبة من الاصدقاء يكشف عن بعض مكنونات حياته العاطفية وإعجابه بالمرأة الجميلة الفاتنة !

لقد عانى العلامة جواد في فترة شبابه التي قضاها طالبا ومعلما ما كان يعانيه ويبشّر به دعاة الاصلاح الاجتماعي في بيئة تسودها الأمية والجهل والتخلف في كثير من جوانب الحياة ، وفي مقدمة ذلك تلك التقاليد

البالية المسيطرة على افكار ابناء الشعب عامة وعلى المرأة بصورة خاصة ، ولهذا نجده ، منذ اواسط العشرينيات ، من القرن العشرين يدعو بإلحاح الى الزواج المثالي المبني على التعارف والتفاهم ببين العريس وعروسه ، لأن في ذلك بناء الاسرة وقيامها على اسس صحيحة وسليمة ، وهي مفتاح سعادة الانسان .

ولكن ، وبعد سفر مصطفى جواد للدراسة في فرنسا نجده قد تأثر بحركة المثقفين اللبراليين الفرنسيين في فترة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ، وقد تجسدت هذه الحركة بظاهرة الاعجاب والانبهار الشديد بالحضارة الأوربية وتقدمها ودور المرأة في المجتمعات الغربية ، وكان يتساءل يومذاك : هل تبقى فتياتنا ونساؤنا رهينة التقاليد البالية حبيسة في البيت ؟ ومتى يحين الوقت لتأخذ نصيبها من الدراسة في المدارس والجامعات وتشارك الرجل في بناء المجتمع المتحضر ؟ هذا كان في فرنسا . وبعد إكماله الدراسة وحصوله على شهادة (الدكتوراه) وعودته الى وطنه العراق كان رحمه الله يتحدث الى المقربين من اصدقائه وزملائه عماكان يفكر به عن المراة المثالية ، فكان يقول : ((ان المرأة المثالية هي التي لاتترفع عن عمل البيت ولاتترك شؤونه تحت تصرف الخدم ، فان من حسن عشرة الزوج ان يجد الإهتمام من زوجته شخصيا بملبسه ومأكله ومسكنه واهتماماته وهواياته النافعة ، لان الزوج والزوجة متكافئان في الحقوق والواجبات ، ومع صدق العاطفة يكون الرجل ملكا مطاعا ، نافذ الكلمة ، وان وسيلته في ذلك هو الوفاء والاخلاص والحب . ويستشهد بالقرآن الكريم حيث إحتلت المرأة مساحة واسعة في الكثير من سوره وآياته ، وان جمال المرأة وفتنتها نعمة عظمى من الله سبحانه وتعالى منَّ بها على بني الانسان .

تزوج المعلم مصطفى جواد عام ١٩٢٨ وكان ذلك حدثا مؤثرا في حياته ومستقبله ، ويمكن إلتماس هذا التأثير فيما نشره من شعره في مجلة (لغة العرب) ، التي كان يصدرها الاب انستاس ماري الكرملي . ومن السهولة الكشف عن الحالة النفسية التي يمرُّ بها مصطفى جواد اذا ما دققنا وتمعنّا في دلالات تلك القصائد ومعانيها .

ففي عام ١٩٢٨ يوم كان معلما في مدرسة الكاظمية الابتدائية نشر قصيدة بعنوان ((أوربية تحب عراقيا))[١] وصف فيها شابا عراقيا جميلا اسمه (حسن) من ذوي المراتب السامية ، وقد تعرّف الى شابة حسناء اجنبية احبته حباً جماً، وبعد ان توثقت أواصر المحبة والعشق بينهما ، اضطرته اعماله التجارية الى مغادرة الباخرة والنزول في ميناء (جدة) فتركها تنوح وتبكي لفراقه ولسان حاله يقول :

حبيب بأرض الشرق ظلَّ معذبا
ومحبوبة تهواه عند المغارب

ومطلع القصيدة :

وما (حسن) إلاّ فتى ذو ملاحة
وقد نال في الآداب أسمى المراتب
وفي البصرة الفيحاء حطَّ متاعه
يتاجر بالأمـوال تحت المتاعـب
رأى مركبا ينوى البراح بركبه
وشيكا الى قطر الحجـاز المقارب
رأته فتاة غضة الجسم كاعب

---

[١] مجلة ((لغة العرب)) المجلد ـ (٦) لسنة ١٩٢٨ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧

تطل على الركاب من كل جانب

فنادته من شوقٍ أثار بقلبهـــا

سعيرَ غرام أقلــق النفس غالــب

ولم يصطبر حتى أجاب نداءها

اجابة مسكــين لأكــرم واهــب

وإذ قاربا ميناء (جدة) أصبحا

على جرف التفريق قصد التذاهب

فقالت له ويــل لقلبي فانــه

سيضنى من البعد الكثير المتاعب

فما أنحس الأوقات اوقات مفصمٍ

لعروة حــبٍ مفعــمٍ بالعجانــب

وما الحب إلاّ نعمــة مستديمــة

اذا لم تمزقها النــوى بالمخالــب

والقصيدة تتألف من (٤٤) بيتاً وتعدُّ من الشعر القصصي .

ونظم قصيدة اخرى بعنوان ((زواجنا من شقائنا))[٢] وهي قصيدة تصوّر للقاريء حالة الزواج في العراق حيث يعهد الى امرأة (دلالة) ان تختار البنت التي تراها مناسبة للشاب وتتم الصفقة وكل من الخطيبين لم ير صاحبه فيتم الزواج ويبدأ التنابذ في اغلب الاحيان ولاتكون الراحة إلا بالافتراق تتألف القصيدة من (٤٩) بيتا يصف مراحل الخطبة ثم الزواج وبعدها الفراق .

---

[٢] لغة العرب : ٧ (١٩٢٩) ص ٤٤٨ ــ ٤٥١

ويقول فيها : (مقتطفات منها) :

ذهبتْ تجوب مساكن الأحـياء ... وتسير بالأوصاف والانبـاء
ذهبت لتبحث زوجة مأمـونة ... وجمـيلة وكريمـة الآبـاء
فتعاهدوا وجرى الملاك بسُرعة ... وتأدبـوا كتـآدب النـبلاء
ومشوا بامتعة الجهاز باطـرق ... مشهـورة لاذاعـة الاشيـاء
اما الخطيب فما يزال مسائـلا ... عن ذات خطبتـه بكل دهـاء
يتسمّـع الاخبـار كل هنيهـة ... يتشمم الأوصاف من قربـاء
قد انبأوه بحزمهـا وجمالهـا ... لكنمـا الاذواق غيـر سواء
بئس الزواج زواجنا ولنعم ما ... سارت عليه عوائد الغربـاء
الشـرع حللـه لنفـع مآلـه ... ولكي يعـاش بألفة وصفـاء
زفوا العروس الى الحليل وانها ... دخلت فجوج حياتها العميـاء
تلكم مصيبتنـا وذاكـم داؤنـا ... والشعب محتاج الى صلحـاء
ويح ابن آدم ان عرته مصيبة ... طـول الحياة تثور بالايـراء
فَرُمْ الزواج اذا اردت سعـادة ... وصن الزواج بصائن العقلاء

* * *

سأله احد اصدقائه : ماذا تقول عن زوجتك ام جواد ؟ اجاب (رحمه الله) : نهتدي بمآثر اجدادنا في هذا الميدان ، ألم تطلع يا صديقي العزيز على وصية ابي الدرداء لإمرأته ، اذ قال لها : ((اذا رأيتني غضبان فرضّني ، واذا رأيتك غضبى رضيتك ، وإلاّ لم نصطحب .)) ، وهي وصية عظيمة بل هي تذكرة للغافل ومعونة للعاقل .

خذي العفو مني تستديمي مودتـي
ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالقوى

ويأبـــاك قلبـــــي والقلـــوب تقلّـــب

فاني رأيت الحب في القلب والأذى

اذا اجتمعا لـــم يلبث الحب يذهـــب

كنا ، الدكتور عبد الهادي التازي سفير المملكة المغربية ببغداد ، وانا في زيارة الدكتور مصطفى جواد في داره في منطقة الدورة لعيادته في مرضه وكان ذلك في خريف عام ١٩٦٩ ، ودار الحديث عن المرأة المثالية والزواج بمثنى وثلاث ورباع ، وهناك سأله الدكتور التازي : ألم تفكر يا أبا جواد بالزواج باخرى وثالثة ؟ ابتسم الدكتور جواد مجيباً : كنت أتمنى ذلك ، ولكنني كنت اخشى ان يصيبني ما اصاب ذلك الاعرابي الذي تزوج زوجتين فندم على ذلك حيث أوقع نفسه في محنة عظيمة . ألا تحب ان تسمع ما قاله هذا الاعرابي يا صديقي ؟ قال الدكتور التازي ارجو ذلك : فانشد الدكتور جواد :

تزوجـــت اثنتين لفـــرط جهلـــي

بمـــا يشقتـــى به زوج اثنتيـــن

فقلـــت أصيـــر بينهما خروفـــا

أنعّـــمُ بيـــن أكـــرم نعجتيـــن

فصرت كنعجةٍ تضحي وتمسي

تداول بيـــن أخبـــث ذئبتيـــــن

رضا هذي يهيّج سخط هـــذي

فما اعرى من احدى السخطتين

وألقى في المعيشـــة كل ضـــرٍ

كذاك الضر بيـــن الضرتيـــن

لهذى ليلـــة ولتـــلك اخـــرى

عتـــاب دائـــم فـــي الليلتيـــن

فان أحببت ان تحيـــا كريمـــا

من الخيرات مملـــوء اليديـــن

وتدرك ملك ذى يزنٍ وعمرو

وذي جـــدن وملك الحارثيـــن

وملك المندرين وذى نـــواس

وتبّـــعٍ القديـــم وذى رعيـــن

فعش عزبا فان لم نستطعـــه

فضربا في عراض الجحفلين

ومن الطرائف التي تروى عن العلامة جواد الحادثة الآتية :

كانت عادة دوائر الدولة في العراق في كل رأس سنة مالية توزع استمارة او استبيان للموظفين تسأل فيه عن الاسم واللقب والعمر و الحالة الزوجية وعدد الأولاد لأسباب مالية ، وقد تسلم الدكتور مصطفى جواد نسخة من هذا الإستبيان واجاب عن اكثر الأسئلة ، ولما وصل السؤال : هل زوجتك على قيد الحياة ؟ اجاب كتابة : نعم انها حية تسعى !!

رحم الله صديقنا ابا جواد واسكنه فسيح جناته .

وقبل ان نبارح منزله ، مودعين ومتمنين له الشفاء العاجل ، طلب منا الانتظار لبعض الوقت ، حيث اتحف كل واحد منا بنسخة من كتاب (رسائل في النحو واللغة) الذي حققه مع صديقه الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني المتوفى سنة ١٩٧١ ، ويتألف الكتاب من الرسائل الأتية :

١ــ تمام فصيح الكلام ــ لابن فارس احمد بن زكريا ، المتوفي في شهر صفر من عام ٣٩٥هـــ .

٢ــ الحدود في النحو ــ لعلى بن عيسى بن عي الرماني (٢٧٦ــ٣٨٤هـــ) .

٣ــ منازل الحروف ــ للرماني ايضا .

وقد طبعت الكتاب وزارة الثقافة والاعلام سنة ١٩٦٩ :

وكان العلامة جواد ، رحمه الله ، قد وشحَّ نسختي الخاصة بمقطوعة من الشعر تعبرَّ عن عاطفة اخوانية صادقة وصداقة دامت قرابة ربع قرن ، فشكرته شكرا عاطرا على هذه الاريحية ، وكان خلال هذه الزيارة يشدنا شيئا من اشعاره ، منها ما كان عبَّر فيه عن معاناته من المرض . قال :

رشَّحتني الاقدار للموت لكن أخَّرتني لكي يطول عذابي

فمحت لي الآلام كل ذنوبي ثم اضحت مدينة لحسابـــي

وقـــال :

حروف الدهر لا تبقي على أحـــدٍ ولو ملكا

فلا تعجب لما قدنـــا ... لني فالدهر قد فتكـــا

ثم ختم كلامه بقوله : ((لا يحمل الانسان في جسده ازعج من الدماغ))

* * *